الى الرجال والنساء

الغـــرام السوقى . . .

للشاعر الأستاذ محمد الأسمر

هذه القصيدة تصف ناحية من النواحى الاجتماعية التى إذا تركت وشأنها انقلبت وباء ، وأودت بسعادة الأسر رجالا ونساء وأطفالا . وهل هناك أشد خطراً على سعادة الأسرة من أن يقع الزوج فى حبائل خادعة له تصرفه عن زوجته وأولاده ، أو تقع الزوجة فى حبائل خادع لها يصرفها عن زوجها أولادها . إن غراماً ينشأ بين زوج وأخرى غير زوجته ، أو بين زوجة وآخر غير زوجها غرام سوقى قائم على الحب الزائف لا على الحب الذى يجلب السعادة المحبين ، خصوصاً إذا كانت بطلة هذا الغرام إحدى بنات الليالى المعروفات بالأرتستات ، وقد تناول الشاعر فى قصيدته تلك هذه الناحية الاجتماعية وبعض ما يتشعب منها . وجعل إهداءها إلى صديقه الأستاذ كامل الشناوى :

لا يُلهينَّك تغريدُ العصافيرِ ونَاعم الريش عن نَقْر المناقيرِ
واحذرْ من القطة الملساء إن لها أنيابها ، ولها خدش الأظافير
ورُبَّ حسناء أمسى بعض ما صنعتْ
بالناس وهو أحاديث الجماهير
فاحذر غوانىَ إن صدَّتْ وإن وصلت
فهنَّ أشبه شىء بالمناشير(١)
يُصبِينَ حتى أخا سبعينَ ليس له صبأ فتسخو يداه بالدنانير
هُنَّ التواجرُ فى كل الأمور فما يسقطن إلا على القوم المياسير
وهنَّ حولَ الذى يُلقى بلقمته شواخص الطرف أشباه السنانير
حتى إذا نَضبتْ يوماً موائده بحثن عن غيرها بحث الساعير
فاحذر شوارد منها لا رقيب لها ولا تَغُرَّنكَ ربواتُ المقاصير
كم من قصور حَوَتْ أركانُها دنساً
تَعجَّبتْ منه أركان المواخير
تلك الغوانى غوانى السوق ليس لها
خِلٌّ ولو كان وهَّابَ القناطير
وماشكرن يداً أسدت لهن يداً بل هن فى الأخذ أشباه الأعاصير

(١) إشارة إلى أنهن وراء المال فى كل أحوالهن

بيت فى أسرهنَّ المرء مبتسماً يخدَعنهُ فهو وضاح الأسارير
فيا عجيباً تراه وهو مغتبطٌ ولو درى لرأى سُخرَ المقادير

* * *

هذا وكم من رجال أدنياء لهمْ إن صادفوا غِرَّةً فتكُ المغاوير
وإن أحاطوا بسرٍّ ليس يعرفه سواهمُ أعلنوه بالمزامير
ومنهمُ معشرٌ أعداء أمتهم لهم غرام بأعراض المشاهير
مُبالغون ، وقد تلقاهمُ وضعوا ما يأفكون به وضع الأساطير
يا وَيحَ من أعرضوا عن بحث أنفسهم
ويبحثون سواهمْ بالمناظير
لو أن كل امرئ يُعنى بحالته لم يمشِ قومٌ لقومٍ بالأخابير
ومن تأمَّل يوماً ما صحيفته
ألهاه ذلك عن فحص الأضابير(١)

* * *

يا لهف نفسى على (الزوجات) ضيَّعها
من الرجال بعولٌ كالطراطير
تخْفَى الحقائق عنهم وهى واضحة فينظرون إليها كالمصادير(٢)
ولا يثورون بركاناً له حُمَمٌ لكن يثورون أشباه القراقير(٣)
كيف اطمأنوا فناموا عن حدائقهم
: سرى اللصوص فما نوم النواطير ؟ !
وكل بستان ورد نام صاحبه عن حفظه فهو منهوب الأزاهير
ولهفَ نفسى على (زوج) تُدَنِّسهُ
قرينةٌ زوجُها زوجُ الفوازير
من الغوامض ، لا رمل يُبيِّنها ولا شيوخ قعود بالطوامير(٤)
من اللواتى إذا ماريبةٌ عرضت فهُنَّ ماهنَّ فى خلق المعاذير !
فيا لها من ظلام غير منكشف يلوح كالصبح وضَّاح التباشير

* * *

الله للناس ، عمَّ الشرُّ وامتلأت أسواقه بالأبالس المناكير
فاحذر ، وحذر ، وأصلح ما استطعت ولا
تبغ الفساد ، ورفقاً بالقوارير(٥)

(١) الأضابير المجموعة من الصحائف
(٢) الخيالات
(٣) القراقير صوت أمعاء البطن
(٤) الطوامير الصحائف
(٥) المعنى بالقوارير هنا النساء وفى الحديث الشريف (رفقاً بالقوارير)